الحلم (قصيدة لنهاية القرن)

مجدي بن عيسى

(١)

رحبت أشرعة الحلم فأغوتنا
أكنا
نذر الأرض لها؟

أولم تجر مياه الحلم في صحرائنا؟
أو لم نثن على الأمس السخيّ؟
فلم الحاضر يرتج بنا؟
ولم عهد قطعناه مع أحلافنا يُنْتقضُ؟
مكر الوقت بنا
واستعذبتنا الطرق.

كانت الأحلام رتقاً
ففتقناها وأنبتنا الشجر
في أعاليها، وعلمنا الفصول
حكمة الشمس وعادات المطر.

خرج الحاضر من أضداده،
لم يكن سلما لنستقوي على
الأحلاف، أو حربا
فنستعدي عليه،
كان حلما
فتبعناه وأثنينا على أمس سخيّ.

لو رقيم دلّنا
لتبعناه
لو انزاح الستار
لرأينا
حُجَّة الشمس
ولو أنّا احتسبنا.

(٢)

درجُ الغيم لسان
يقرأ الريح التي تعبره
حدس يفضي إلى النسيان، ذكرى
ولغات جمّة تحتشد.

حاضر هذا
أم الماضي الذي
يخرج من مرآتنا
ويؤاوينا، ويدخل في أحلامنا*؟
ينهب الماضي غد الأحفاد، يستعجله
ويؤاخيه
ويأكل من غلّته.

(٣)

ما الذي يكبر في الصمت؟ بداوات
تجوب الأرض، موتى
يتداعون من الذكرى
شعوب تتلاحى
أبجديّات ترثّ.
ما الذي يكبر في الصمت؟ غد
يرفو ثياب الأمس،
وُعَّاظٌ وأفّاكون، غيب
يُلْبسُ الشاهد من أثوابه**.

إنّه حلف من الأضداد، وقت
قُلَّبٌ
يمضي بنا نُكْساً إلى زمن فتيّ.
شاخت الآلهة الأم فنسل
يرث الأرض التي
أَوْلَمَها السِلْمُ لدولار نبيّ.

هِبَةُ السلم: نهار غائم
مَشْتى لأحلام الشعوب
نِعَمٌ مغلولة الأطراف، فيض من
حنين***.

---

* ـ [من يسوّي زمن الحلم بليل اليقظة / من يؤاخي ضدّه / من يسمي جسد الموت حياة خَلِقَةٌ / سيُسمّي غدنا / ويسمّي حاضرا / أمسنا الغائم في مرآتنا المنكسرة].

** ـ [تتنادى الكلمات: / من يسمّي ألق الحاضر، من يقرضه معناه كي / يخرج من إعجامه؟ / تتنادى الكلمات: / أيّها المعنى الذي يعجزنا / لست آياً في كتاب الوقت كي تزري بمجد الكلمات].

*** ـ [سأسمّي حاضرا / بذخ القتل ونار الفتن / سأسمّيه غدا يخبو / وأسمّيه انكسار الحلم].

رغبَ الغيب عن السرّ، فمكشوف
قضاءُ الناس، منْهُوبٌ
وعار من أمانيهم.

قد عرفنا كرّة الأحقاب. لم يأت
بنا الأمس، وعُلّمنا
من التأويل ما يكفي لنعرف
أن ما يأتلق الآن كنجم يأفل.

كذب الموتى
أراجيفٌ رُؤَاهُمْ
هذه أزمنة شتّى وقرن واحد
إنه الحاضر والقادم والمنصرم.

إبرة الوقت
تشدّ الأمس للحاضر، من وخزتها
يستيقظ اللاهوت والعنف
المقدّس
ينهض الحلم القديم الموحش.

(٤)

لم يكن فظّاً شتاء الأمس كي نقسو عليه
عامرٌ بيدرُنا،
وأثافي نارنا
لم تزل دافئة،
غير أنّا لم نر الأشجار عارية
ولم تقفر سمانا
من شموس عالية*.

أزف الوعد الذي
عاهدنا الوقت عليه.
ها غد يفشي أمانينا ويذروها
وها أنّا نرى
غدنا المدفوع للعزلة يقفو
أثر الأمس الذي شرّدنا الحلم إليه.

هزّنا يا وقت من أعطافنا
هزّ غيم اليأس كي تصحو سمانا
وارمِ صحراء الحنين
بالغد الفظّ
وبالحاضر وانْهبْ
حجج الأمس العَيِيّْ.

(٥)

عبْر الماضي
ولم ندرك غد الأسلاف، قد مرّ
النهار
واستطال الليل. لم ندرك غدا
في آخر الدرب الذي يفضي إلى
الأيام
لكنّا رأينا
أنجماً تنكدر
وقرّى تخبو، ومجداً يأفل**.

لغد يقرأ أسلاف المكان
لنهار أعزل
لرؤى الشاعر والأخْيِلَةِ الممتنعة
يكتب الماضي
وصاياه ويمليها:
* حكمة منذورة للمحو ما يكتبه
الليل
وما يتلو النهار
* لا تحاجج زمناً مرّ
* أنا النسغ الذي يحيا
وأنت الشجرة***.

(٦)

صاعداً
من وهدة الأيام أستجلي نهاري
وأسميه
وأدخل في سنّته.

تونس

* ـ [لو توارى الحاضر / مثل / نبض القلب أو كالنفس / أو / مشى مستعجلاً / كانخطاف أو كبرق مرسل / لأضانا ليله والنّا دربه الجَهْمَ بلحن سَلِسِ]
** ـ [اليقين مطر حامض / ويد الشك ممدودة في المتاه / أفقنا شاحب / ومصائرنا حجر مهمل في مداه].
*** ـ [ليس ضدّاً أو حليفاً / إنّه الضوء المباح / ليس غيراً أو مثيلا / إنّه محض نهار شاسع / وتجاعيد على وجه الصباح].